العدد (4109) السنة الخامسة عشرة - السبت (13) كانون الثاني 2018
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

رولان بارت والمعرفة السيميولوجية

أحمد شرجي

يفسر وضع العلامات اللغوية وغير اللغوية في أنساقها الاجتماعية، طريقة عملها وسببها. وهو ما يشير إليه بارت في نصه (موت المؤلف)، فموت المؤلف يمنح للقارئ الحرية، نظرا لانعدام سلطة نهائية تقرر معنى النص، كما لا يوجد معنى نهائياً يقترن بالعلامة، لأن العلامات تتغير باستمرار حسب سياقها الاجتماعي واللغوي. إن النص "مصنوع من كتابات مضاعفة.

وهو نتيجة لثقافات متعددة، يتداخل بعضها مع بعض في حوار، ومحاكاة ساخرة، وتعارض"(بارت رولان، نقد وحقيقية،ص:24.)مما يمنح النص امتياز التعددية الدلالية والتعارض.

تتقاطع المعرفة اللسانية مع المعرفة السيميولوجية عند بارت بأربعة مفاصل أساسية، ويستند في ذلك إلى تصورات دوسوسير، وهي: اللغة والكلام: فاللغة مؤسسة اجتماعية ونسق من القيم لها بنية ثابتة، عكس الكلام الذي يتكون من أعداد لا متناهية من الملفوظات. فالكلام فعل فردي، أما اللغة فترابط اجتماعي وتؤخذ بكليتها إذا أردنا تحقيق التواصل.

الدال والمدلول: يشير المدلول إلى الدال، فلا يفصح عن المدلول إلا من خلال الدال، لأنه فحواه المادي. لكن وجود الدال حتمي في المقاربة السيميولوجية، فلا تتشكل العلامة إلا من خلال علاقات تركيبية ضمن أنساق. والعلاقة التي تربط الدال والمدلول هي العلامة.

المركب Compound، النسق System، الجدول Table: يبنى المركب على التمركز، وبدونه لا يكون حاملاً للمعنى. فنشوء المعنى يتم من خلال تنسيق الظاهرة المدروسة. وينظر إلى المستوى التركيبي بوصفه المحور الأفقي للظاهرة(أثاث المنزل على سبيل المثال). أما المستوى الجدولي فيمثله المحور العمودي(مختلف أنواع الأسرة). ويتولد المعنى في العلاقة التركيبية بين العناصر المعزولة، متى ترابطت مع بعضها البعض.

للدلالة الذاتية – Self Se nificance والدلالة الإيحائية Segnificance Placebo: تشير الدلالة الذاتية إلى معناها الحرفي والمباشر، الذي لا تحتاج إلى عناء التأويل. وهي نسق دلالي يتكون من دال ومدلول والعلاقة بينهما تشكل العلامة. أما الإيحاء فهو امتداد للنسق الأول، وفيه تكون العلامة بمثابة دال لمدلول ثان. وبهذا فإن النسق الإيحائي Placebo Systém يمثل نسقا من المستوى الثاني. أما الدلالة الذاتية فيكون معناها في صلب توليد الدلالة، بمعنى إنها مركز الدلالة الذاتية وسندها، وخاصة في التعبيرات الاستعارية حتى لو كانت غير لغوية مثل: اللوحة، والصورة، والحركة، والإشارة(بوعزيزي، محسن، السيميولوجيا الاجتماعية،ص:73-61).

إن مفهوم النسق أساسي في البحث السيميولوجي، لأنه يسعى إلى كشف شبكة المعاني التي تتخفى داخل ظاهرة ما. فالعملية السيميولوجية عملية بنائية تبني صوراً وعلامات، تتشابك مع بعضها البعض لتؤسس نسقاً من العلامات يتعدى مستوى الوصف والفهم. بمعنى أوضح: إن العملية السيميولوجية تسعى لإنشاء علاقة جدلية بينها وبين الموضوعات بوصفها روابط المعنى التي تحتفظ بها في داخلها، من دون إقحام محددات أخرى. فالسيميولوجيا لا تحيد تلك المحددات ولا تهمشها، بل تتناولها من وجهتها الخاصة وتوظف مكوناتها ضمن نظام من المعنى.

نخلص من خلال التقاطعات التي وضعها بارت والتي تمثل خلاصة مشروعه السيميولوجي إلى أن البحث عن المعنى يسند إلى الأشياء التي لا صوت لها. فالبحث عن المسكوت عنه يتجسد في كيفية إكساب المعنى للأشياء المخفية، وهو ما يرتبط ارتباطا وثيقاً بالموروث الاجتماعي والمخزون الثقافي الذي يكون في أغلب الأحيان مهملا وهامشيا، لكنه منغرس في الوعي الجمعي. وإذا كانت الموضوعات عند رولان بارت تضم محددات اقتصادية واجتماعية متنوعة وواسعة، فإنّ السيميولوجي عنده لا يتناول اقتصاد "الموضة" أو اجتماعيتها، بل يسعى إلى تحديد المستوى الدلالي للموضة.

ويؤكد بارت على أن اللغة هي الوسيلة الناجعة لفهم العلامات، فلا يمكننا أن نفهم ماهية اللوحة أو الصورة مثلا، دون قراءة عنوانها. فالعنوان يقربنا من محتوى اللوحة ومعناها. إن العلامة لا تشكل بمفردها معنى، وهذا جوهر الاختلاف بينه وبين دو سوسير الذي شدد على أن اللغة جزء من السيميولوجيا، بينما بارت يرى عكس ذلك تماما.

يقارب بارت في كتابه (الأساطير1957) الظواهر الثقافية اعتمادا على الرؤية الفيلولوجية عند دو سوسير، من خلال تحليله للعديد من المظاهر الشعبية مثل: الرياضة، والتسلية، ووقت الفراغ، وأنواع الطعام. وبهذا يضع اليد على البنية الخصبة للظواهر، التي يتأسس عليها ما يصطلح عليه: بالقاعدة البرجوازية. وهي المعاني التي تميز طبقة اجتماعية. وليست البنية الخصبة للظواهر سوى العودة إلى الأرضية التي تتحرك من خلالها تلك الظواهر. ولم يكن بارت ناقداً سكونيا يرضى بالمتداول من الأفكار، بل ناقداً للقيم الثابتة المتحنطة، وأركيولوجيا في علم العلامات. فقد سعى لاستبعاد التكرار والمكتسب، من أجل تحطيم السلطة وتفتيت الأنظمة حتى يعيد بناءها من جديد. فقد قدم في (الأساطير) نقدا تحليلاً تهكمياً لبعض التمثلات الأيديولوجية للبرجوازيات الصغيرة، من خلال الأعمدة والصحف اليومية، وكتب عن عوالم لا يمكن لنا معرفتها وفك أسرارها، لأنها عوالم مغلقة. ولم يكن معنيا ببناء النماذج، بقدر ما كان هو نفسه نموذجا في فك الرموز.

وهنا نتساءل: هل انبثقت البنيوية من الأنثروبولوجيا؟ فطروحات البنيويين تؤكد على العودة إلى نواة الظواهر لاكتشاف المعاني، التي تكمن في عمق الظاهرة وجذرها. ورغم تأكيد دوسوسير على أن اللغة تنفرد باعتباطية علاماتها، فإن بارت قدم لنا مصطلحا أكثر دقة وإفادة وهو(المحفزة)، الذي يوحي بأن هناك تفسيرا للطريقة التي تعمل بها العلامات البصرية.

لقد اقترح بارت ثلاثية أساسية من العلامات، لا تختلف اختلافا جذريا عن بعضها البعض، لكنها توجد بمستوى متدرج من العلامات ذات الوظيفة الواحدة، وهي: الأيقونية، والاعتباطية أي العلامات المتعددة المعاني والمحفزة. ولا يتحدد وجود العلامات بوجود اللغة، بل هناك أنساق من العلامات تتعدى حدود اللغة المكتوبة. وهو ما يتضح في تحليل بارت للباس باعتباره لغة، وكانت له الريادة في هذه الإشارة. ويتفق بارت في اشتغاله المعرفي مع الأمريكي شارل ساندرس بورس C.S. Peirce ، الذي يدرس الأشياء مستحضرا الرياضيات، والأخلاق، والميتافزيقيا، والفن، والأدب، والعلوم، والاقتصاد، بوصفها موضوعات سيميائية. فالنص عنده جزء من جهاز مفاهيمي أساسه العلامة، يقول بارت: "إن مفهوم النص يعني ضمنياً أن البلاغ المكتوب هو في تركيبه على غرار العلامة، إذ نجد من ناحية الدال (مادية الحروف، وآخذ بعضها برقاب بعض في ألفاظ وفقرات وفصول)، ونجد من ناحية أخرى المدلول، بصفته معنى في الآن نفسه أصلياً، أُحادي الدلالة نهائياً، ويمنعه من الارتعاش والازدواج والهذيان؛ وكذا الشأن بالنسبة إلى النص الكلاسيكي، فهو يغلق الأثر ويشده إلى نصّه الحرفي ويعقله إلى مدلوله" (بارت رولان، نظرية النص، ص:17). ومن هنا، فإن الرموز الإنسانية الكبيرة لا تحيل إلا إلى معنى واحد وهو المعنى الأيقوني، مثل: (الصليب في الثقافة المسيحية، الهلال في الثقافة الإسلامية).

ورغم اشتغال بارت العميق على علامات الزي وما أنجزه في نسق الموضة، يظل منجزه يشبه السيميولوجيا البدائية، لأنه اكتفى بتتبع آثر اللسانيات وطبقها على اللباس، وأغفل بعده الاجتماعي. وهو الأمر الذي يتعارض تماما مع تصوراته في نسق الموضة. إن بارت يرى كل عمل سيميولوجي تطبيقي هو استكشاف وليس اكتشافا، استكشاف لكل ما يحيط بالظواهر الاجتماعية من غموض. لهذا نجده، يتنقل بين مناهج وميادين معرفية مختلفة: اللسانيات، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والسيميولوجيا والبنيوية. غير أنّ محاولاته تمتاز بالمغامرة والجرأة، من خلال كتابته عن الأشياء المهملة والهامشية التي نادرا ما ينتبه إليها الآخرون، ويحولها إلى معنى ومادة للتأويل. بل ذهب في مشروعه التحليلي بكليته إلى سؤال المعنى، مما يستلزم تأويل الحدث مهما كان حجمه أو تأثيره، للخروج بنتيجة بعينها.

موسيقى السبت

حفل موتسارت

ثائر صالح

حالفني الحظ في حضور بضعة حفلات موسيقية رائعة أثناء زيارة سريعة إلى بودابست قبل أكثر من أسبوعين، كان بينها حفل لأعمال موتسارت في القاعة الكبرى لجامعة فرانس ليست للموسيقى في بودابست، وهي من الأكاديميات الموسيقية الأوروبية الشهيرة بتاريخها وطلابها، وببنايتها الجميلة التي انجز بناؤها في 1907 على طراز الفن الحديث.

قُدم في الحفل عملان يعدان بين أجمل أعمال موتسارت، هما كونشرتو الفلوت والهارب والاوركسترا (عزف على الفلوت الفنان المجري الكبير إشتفان ماتوز الذي احتفل ببلوغه السبعين العام الماضي 2017)، وعمل سينفونيا كونشرتانته للكمان والفيولا والاوكسترا قدمه الفنانان الشابان بارناباش كَلمن على الكمان وكاتالين كوكاش على الفيولا (ولد الاثنان سنة 1978). وقد اخترت العمل الأخير لكلمة هذا اليوم لعدة أسباب، بينها معرفتي غير المباشرة بالفنان بارناباش كَلمن، فقد عمل سوية مع الصديق الفنان عازف التشلو قصي حسين قدوري في تسجيل موسيقي لأعمال أبناء العم رومبرغ (برنهارت 1767 - 1841 وأندرياس 1767 - 1821) صدر سنة 2002 عن دار هنغاروتون. السبب الآخر هو أن العازفين هما زوج وزوجته، مما أعطى أداءهما طعماً خاصاً، فالانسجام بين العازفين أمر هام في تقديم أي عمل.

يعد كَلمن بين أهم العازفين المجريين على الكمان اليوم، وقد عين استاذاً في جامعة فرانس ليست سنة 2005، بعد أربع سنوات من تخرجه منها. وهو استاذ زائر في جامعة بلومنغتون الأميركية، وهي من المراكز الموسيقية الأميركية الشهيرة. لديه 11 تسجيل موسيقي منفرد لحد الآن، وهو مؤسس رباعي وتري حاز على شهرة هو رباعي كَلمن يعز فيه مع زوجته وعازفين آخرين. أما زوجته كاتالين كوكاش فقد تخرجت معه، عازفة على الكمان والفيولا، أصبحت استاذة للكمان في الجامعة نفسها سنة 2004. وقد حاز الاثنان على جائزة فرانس ليست المجرية، وهي أعلى جائزة حكومية تمنح للموسيقيين في هذا البلد الذي يتميز برقي التربية الموسيقية وبعازفيه وموسيقييه الكبار.

اشتهر شكل السينفونيا كونشرتانته في القرن الثامن عشر، وهو مزاوجة بين شكلي الكونشرتو والسيمفونية، رغم طغيان شكل الكونشرتو عليه. ألف موتسارت هذا العمل سنة 1779 للكمان والفيولا تصاحبهما أوركسترا الوتريات مع أداتي اوبو وأداتي هورن في سلم مي بيمول الكبير، وهو بثلاث حركات (سريع – بطيء – سريع). كان العمل تجربة مثيرة قام بها موتسارت لاستكشاف آفاق صوتية جديدة خلال رحلة الى مانهايم وباريس وقبل أن يطرده مخدومه اسقف زالتسبورغ من وظيفته ليذهب بعدها الى فيينا ويبدأ مرحلة جديدة تميزت بالنضج والكمال الموسيقي. يعدها الكثيرون أهم من كل كونشرتات الكمان التي كتبها، خاصة أنه أعطى الكمان والفيولا فيها دوراً متساوياً، والأداتان شريكتان ولا توجد منافسة بينهما.

تتميز الحركة الاولى والثالثة بالحوار بين هاتين الأداتين وبينهما والأوركسترا. أما الحركة الثانية البطيئة فتتميز بحزنها وعمقها العاطفي وهي من الأمثلة النادرة على استعمال موتسارت للسلم الصغير، وتبدو كأنها مرثية غنائية، إذ لم يمض وقت طويل على وفاة امه.

الثقافة تستذكر الأديب الراحل زهدي الداودي

متابعة المدى

أقامت دار الثقافة والنشر الكردية التابعة لوزارة الثقافة والسياحة والآثار جلسة استذكارية بمناسبة الذكرى السنوية لرحيل الكاتب الكردي زهدي الداودي.

في بداية الجلسة القى مدير عام الدار وكالة كلمة قصيرة رحب بها بالحضور ومستعرضا بعض محطات حياة الأديب زهدي الداودي ومشيدا بدوره كاديب واكاديمي ومناضل سياسي.

وبهذه المناسبة ألقى وزير الثقافة كلمة جاء فيها، أننا اليوم نحتفل بالأديب الكبير زهدي الداودي الذي ترك اثراً كبيراً وبصمة واضحة ليس فقط في مجال الرواية والقصة القصيرة وإنما في مجال التاريخ والجغرافية خلال عمله السياسي والثقافي.

وأضاف روانـدزي، أن الراحل زهدي الداودي استطاع أن يجمع بين الثقافة العربية والكردية من خلال كتابة أعماله باللغة العربية والاستفادة من منابع الثقافة العربية، وبنفس الوقت نرى أن الكثير من الأحداث في رواياته وقصصه تدور حول المجتمعات الكردية والعربية المتواجده لاسيما في داقوق وطوز خورماتو، من خلال مؤلفاته الزاخرة والغنية والمعروفة جدا.

وأشار الناقد فاضل ثامر خلال حديثه عن الراحل، نحن اليوم نستذكر قاص وأديب من أب كردي وأم تركمانية تأثر بريف مدينة كركوك عشقها وتأثر ببيئتها، تميز أسلوبه في كتابة القصص بتوظيف الحلم بالأسطورة حيث كان يرى أن هناك صراع بين الأدب الأصيل وبين الأدب الغير أصيل.

من جانبه بين الشاعر والناقد علي الفواز، أن جلسة اليوم هي نوع من الوفاء والالتزام الثقافي تجاه الأديب الكبير زهدي الداودي، فنحن اليوم بحاجة إلى تسليط الضوء على الرموز العراقية بتنوعها الثقافي والمكوناتي، مشيراً إلى أن هذا الاحتفال أعاده لاستذكار المنتج الأدبي والثقافي للراحل زهدي الداودي فهو الكاتب والمؤرخ والباحث في مجال الجغرافية وهو السياسي أيضا، وان جلسة اليوم جاءت لتأكيد ورسم أفق الحوار العراقي بتنوعه وتعدد اتجاهاته وهنا يكمن جوهر المسؤولية التي نحتاجها اليوم ونحن نواجه جمله من التحديات الثقافية والسياسية.

وختاماً قدم وزير الثقافة والسياحة والآثار فرياد رواندزي الهدايا إلى الأدباء المشاركين تثميتاً لجهودهم ومشاركتهم.

رغد السهيل تحاكي فنتازيا السرد في نادي القراءة

كربلاء / علي سعيد

تؤكد الروائية العراقية رغد السهيل انها أحبت روايتها (أحببت حمارا) لأنها جعلتها تحلم من خلالها بثورة تقودها النساء وتقلب الطاولة على الفاسدين وتؤمن ان هذا العالم لا يمكن أن يصلح إلا بعد قيادته من قبل المرأة.

جاء هذا القول في الامسية التي اقامها لها نادي القراءة في كربلاء وقد تحدثت عن تجربتها في الكتابة السردية سواء في القصة أو الرواية ورحلتها العلمية الطويلة التي توجتها بالحصول على شهادة الدكتوراه.

الامسية قدمها الناقد جاسم عاصي الذي عد السهيل من الساردات اللواتي يجدن التقاط المهمش من حياة المرأة وتحسن استخدام الحرية بمفهومها المعرفي وليس السياسي ولهذا فهي مهمومة بقضايا المرأة فكونت لها منظومة لها علاقة بالتاريخ ليس بصفته ارخنة الاحداث بقدر ما هو اعطاء الملامح لهذا الصراع الازلي في حياة المرأة.. واضاف عاصي ان تجربتها في كتابة القصة كنت جيدة وفق مفهوم ما اجترحته لنفسها من خط السرد في الدفاع عن الحضور والغياب فسواء قصصها (سايكو بغداد) و(حكة الخاتون) و(كللووش) .. وتحدث عاصي عن روايتها الاكثر شهرة لغرابة عنوانها وجرأتها ايضا (احببت حمارا) وقال انها تتميز بالتراجيدية السوداء وأنها خطاب موجه للمجتمع وفيها العديد من التأويلات سواء على مستوى المتن او الحوار او الشخصيات أو العنوان .. وتساءل عاصي: كيف تشكل هذا الكيان الانثوي السارد وعلى ماذا استند وما هي بنيتها المعرفية وكيف انتجت السهيل هذه النصوص؟.

وتحدثت السهيل في البدء عن رحلتها العلمية ونشأتها الثقافية كاشفة عن كونها كانت تعيش في الكويت وهمناك حصلت على شهادتها الجامعية.. وذكرت ان اهم ما في تلك المرحلة هي تأثير المكتبة المدرسية على تفتح مداركها ليس فقط لوجود هذه المكتبة بل لان هناك درسا خاصا واجباريا على كل طالب وطالبة ان يستعير كتابا من هذه المكتبة وهو ما يعني التشجيع على القراءة وهي نقطة مهمة جعلت الكثير من الاقران يتجهون الى اكتشاف المواهب وهو الامر الذي حصل معي.. لكنها قالت بشيء من المتعاكس مع الواقع الراهن وقالت ان ميولي الأدبية تختلف جذريا عن طموحي العلمي بل ان المحاولات الادبية الاولى كانت كتابة الشعر لكنني تجنبته بعد دراستها للعروض في جامعة الكويت.. ولفتت الى انه في جامعة الكويت وقالت يوجد برنامج يساعد على الخيار الحر في الدروس وهو ما أعطاني فسحة مكنتني من اختيار سبعة دروس بعيدة عن التخصص فاخترت علم العروض والنقد والادب الاندلسي وفي الوقت نفسه كانت هناك نشاطات ادبية داخل الجامعة اسسنا من خلالها المجموعة الادبية مع الشاعرة الكويتية سعدية مفرح وقد منحتنا الجامعة صفحتين من ضمن المجلة الادبية التي ننشر بها كتاباتنا.

ولقد تعلمت من تجربتي المتواضعة ان الكتاب يموت عند كاتبه لحظة ارساله للمطبعة لكنه يبدأ دورة حياة جديدة مع كل قارئ او ذكر له فالشكر موصول لهذا الحضور الجميل وانتم تعيدون الحياة لمنجزي

وتشير السهيل انها اصدرت اول مجموعة قصصية لها بعد عودتها للعراق عام 2010 وحملت عنوان (ضحكة الخاتون) وقد حققت نجاحا ملحوظا واصداء جيدة بل انه بسببها حصلت على لقب (افضل كتاب قصة) في استفتاء مؤسسة عيون الذي تجريه المؤسسة في أربع عشرة محافظة.. ثم أصدرت بعدها مجموعتي القصصية الثانية وحملت عنوان (سايكو بغداد)عام 2013 لتترسخ تجربتي في الوسط الثقافي والادبي ويتم تداول أسمي بين النقاد خاصة وإن هذه المجموعة تنقلت فيها بين أشكال متعددة وكنت اسعى لإيجاد بصمتي السردية في مجال القصة القصيرة ولهذا أعد هذه المجموعة هي البصمة الحقيقية واهم من المجموعة الاولى.. وتحدثت السهيل عن رؤيتها الاكثر جدلا (أحببت حمارا) الصادرة عام 2015 أولا انا اميل الى كتابة الرواية اصلا لأنها تحتاج الى مطاولة وصبر وذاكرة وانا امرأة مشغولة في اكثر من اتجاه العمل الجامعي والبيت والكتابة ولكن أحد الاصدقاء اقترح عليّ كتابة الرواية فقلت لأجرب خاصة وان فكرة قصة قصيرة ضمن مجموعتي الاولى(سايكو بغداد) وتحمل عنوان (احذية مجنحة) تداعب مخيلتي لتحويلها الى رواية وهي تتناول كما في اغلب سردياتي واقع المرأة العراقية خصوصا والعربية عموما وعملت على تحويلها الى رواية بعنوان (أحببت حمارا) وحاولت جاهدة ألا اركز على قضايا المرأة الجانبية في حياتها بل أهتم بجوهر المرأة وما تعانيه وما تحتاج إليه وما تحتج أيضا ولذا كانت الرواية هي حلم ثورة تقودها النساء وتقلب الطاولة على الفاسدين.. وتبين اننا في تعاملنا مع الادب لا يجوز أن ننقل أحكاما أو أفكار الواقع عليه فالعنوان هو نوع من الفنتازيا لغاية معينة أو فنية مثل أية لوحة فنية وللفنان مطلق الحرية بما يرسم فيها على ان توصل الفكرة او يخدم اللوحة .. وتابعت.. نحن في المجتمعات الذكورية المطلقة نتصور ان هناك مركزية معينة حتى على فكر النساء ويتوجب ان تكتب المرأة ما يرضى الاخر وهو أمر غير صحيح ولقد ذكرت بالرواية ان المركز الوحيد للكون هو الكعبة وليس من مركز سواها..

وتوضح أنني أؤمن ان هذا العالم ان قادته المرأة فان الإصلاح سيكون حليفه لكن المشكلة ان المرأة نفسها تعاني من مشكلات عديدة.. وعن العنوان المثير قالت انه ربما يبدو مستفزا اكثر منه مثيرا لكنه ايضا يخضع للجذب والبحث عن منطقة التأويل ولكن ايضا فالحمار جزء من المتن والفكرة والحكاية ففي العمل كان وجوده فنتازيا لغرض توضيح احتجاج المرأة من جهة وما تمر به من عمليات كبت وتقليل من قيمتها بل انها تعمل في اماكن لا يمكن القبول في وجودها كأماكن النفايات وبيع اسطوانات الغاز .وذكرت.. لقد تعلمت من تجربتي المتواضعة ان الكتاب يموت عند كاتبه لحظة ارساله للمطبعة لكنه يبدأ دورة حياة جديدة مع كل قارئ .